ألفاظ التّفاؤل والتّشاؤم ودلالاتها في الشّعر الجاهليّ

م. د. سعيد إبراهيم صيهود
كلية التربية البدنية وعلوم والرياضة ـ جامعة البصرة

المقدمة:

يروم هذا البحث الكشف عن مظاهر التّفاؤل والتّشاؤم في الشّعر الجاهليّ وما يتبع ذلك من معتقدات كانت سائدة في ذلك العصر، والمعروف أنّ هذين المصطلحين يردان بألفاظ مختلفة، أشهرها التّفاؤل والتّشاؤم، ومنها كذلك ما يختصّ بأحدهما كالتّطيّر الذي يشتقّ من الطّير كما سيأتي، ومنها العيافة الذي يختصّ بالتّفاؤل وغير ذلك. ومصادر هذا المعتقد في العصر الجاهليّ كثيرة ومختلفة، منها ما يرتبط بالحيوان ومنها ما يرتبط بالطّير أو الأسماء وغير ذلك ممّا له علاقة بحياة المجتمع الجاهليّ وما يجلب الخير والنّماء أو الشّر والشؤم بحسب معتقدهم. إنّ هذه المعتقدات كانت سائدةً في ذلك العصر نتيجة البداوة وحب الصّحراء والقتال وغيرها ممّا كان العربيّ يتّصف بها ونجد صداها واضحاً في الأدب الجاهليّ من الشّعر والنّثر، وكذلك نجد أثرها في الأمثال العربيّة القديمة وكثير من قصصهم وحروبهم المستمرّة الى أيام وسنين طوال لم تمحَ، بل بقيت شاخصةً، لأنّها تمثّل فخرهم وتعكس بطولاتهم وشجاعتهم. ونجد كثيراً من هذه التّقاليد قد ورد ذكرها في القرآن الكريم والسّنة النبويّة الشّريفة، مرةً في معرض الذّمّ والازدراء، ومرّةً في معرض المدح

والثّناء، فضلاً عن أنَّ العرب في الجاهليّة ليسوا على وتيرةٍ واحدة من هذه المعتقدات، فما يُتفاءل به عند قبيلة قد يُتشاءم منه عند قبيلة أخرى، فالغراب نذير شؤم عند كثير من القبائل، ولكنه قد يتفاءل به عند قبائلَ أخرى، ولذلك ورد ذكره في القرآن الكريم في معرض الخير عندما أرسله الله تعالى إلى ابن آدمَ كي يريَه كيف يواري سوأة أخيه ويعلّمه أنّ ما قام به من عمل لا يرضاه الله تعالى فندم بعد ذلك. تسود المجتمع الجاهلي كثير من القيم والعادات والتقاليد ورثها المجتمع الجاهلي نتيجة الحياة التي كانوا يعيشونها وطبيعة تلك الحياة، ومازالت تلك القيم والمفاهيم موجودة إلى يومنا هذا، وهذه القيم والتقاليد قد تكون سلبية وقد تكون إيجابية، فمن ذلك مثلاً: الكرم وحبّ الضيافة والإطعام حتى أصبحت ميزة بارزة في العصر الجاهليّ وذلك واضح من قول طرفة بن العبد[1]:

نَحْنُ فِي المَشْتَاتِ نَدعُوا الجُفَلَى لَا تَرَى الآدُبَ فِينَا يَنتَقِرْ

فهم قد تعودوا على بذل الغالي والنفيس في سبيل منهجهم العالي، وقد ظهر ذلك جلياً في الأدب الجاهليّ شعره ونثره، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك مراراً وتكراراً وأشار الى بعض هذه القيم ، فمن ذلك ما كان شائعاً في ذلك العصر من التّشاؤم والتّفاؤل الذي يرد في القرآن الكريم بألفاظ مرادفة كالتطيَر من مثل قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ}[2]، وقوله تعالى:{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}[3]، وهذا يبيَن أنَ ثمَة أشياء كانت العرب تتشاءم منها وتعتقد أنها تسبّب الشَر وتجلب ما لا يحمد عقباه، وثمَة أشياء تدعو الى التّفاؤل ويجني الإنسان من ورائها الخير وتسبّب له السعادة والسرور بحسب معتقدهم، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّهم يختلفون في معتقدهم هذا، فما يتفاءل به عند قبيلة أو جماعة قد يُتشاءم به ويكون مدعاةً للشرّ عند غيرهم كما سيتّضح فيما بعد. وما يسبب هذا من تفاؤل وتشاؤم ورد في أشعارهم ونثرهم كثيراً، وقد تعددت موارده في الأدب بصورة عامة فكانوا يتفاءلون بالطير اذا مرَ من الميامن

الى المياسر ويتشاءمون منه اذا مرَ خلاف ذلك، وسنشير الى بعض من تلك الأشياء التي كانت العرب تتفاءل بها أو تتشاءم منها على النّحو الآتي:

أوّلاً: التّفاؤل والتّشاؤم من الطَّير: ثمّة طيور كانت العرب تتفاءل أو تتشاءم منها، وهي:

١ـ الغراب: ولعله أكثر ما كان يُتشاءم منه، فقد ورد في الأدب الجاهليّ شعره ونثره كثير من الأمثال والأشعار التي تدلل على ذلك، فمن ذلك مثلاً قولهم في الأمثال: " أشأم من غراب البين"(٤) وقد علل الميداني تسميتهم الغراب بهذا الاسم لأنه كان إذا بان أهل الدار نزل من موضع يتلمس ويتقمم فتشاءموا منه وتطيروا فلا يأتيهم إلا وقت البين فلزمه هذا الاسم(٥).وقد أشار الجاحظ في كتاباته الى هذه العقيدة التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية من تشاؤمهم بالغراب، بل هو أكثر ما يتشاءمون منه، قال: (الغراب أكثر من جميع ما يتطيّر به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا مما يتطيّرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه، وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثم اذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيّروا منه إلّا من وجه واحد، والغراب كثير المعاني في هذا الباب فهو المقدم في الشؤم)(٦).ويبدو أن الأمر لم يتوقف عند ذلك الحد من تشاؤمهم بالغراب بصورة خاصة، بل فصَلوا القول في ذلك فوضعوا له صفات وأسماء كما يشير ابن سيدة، فالحاتم مثلا من صفات الغراب وهو الأسود، أو غراب البين له منقار أحمر ورجلان سمي بذلك لأنه يحتم بالفراق(٧)وهذا ما تؤيده الأشعار الجاهليّة من وصفهم الغراب بالأسود أو الأبقع أو غير ذلك، فمن ذلك قول النّابغة(٨):

زَعَمَ البَوَارِحُ أنّ رِحلَتَنَا غَداً وَبِذَاكَ خَبّرَنَا الغُدَافُ الأسوَدُ

وقول عنترة (٩):

ظَعَنَ الذينَ فِرَاقَهُمْ أتوَقّـــعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمُ الغُرَابُ الأبْقَعُ
حَرِقُ الجِنَاحِ كَأنّ لِحْيَي رَأسِهِ جَلَمَانِ بِالأخْبَارِ هِشٌ مُولَعُ

فَزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفَرِّخَ عِشَّـــــهُ أَبَدَاً، وَيُصْبِحَ وَاحِداً يَتَفَجَّعُ
إِنّ الّذينَ نَعَيْتَ لِي بِفِرَاقِـــهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيلِي التَّمَامَ فَأَوْجَعُوا

فنعيق الغراب عند الشّاعر ونعيه إمارة وإشارة إلى فراق الأحبّة ورحيلهم وهو نذير شؤم وبؤس فهو الذي جرى بينهم، ونعق له بفراقهم[١٠].

ومنه قول عنترة [١١]:

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوْدَاً كَخَافِيَةِ الغُرَابِ الأَسْوَدِ

فيلاحظ أنّ ثَمّة فرقاً وتبايناً بين ألوان الغراب ودرجة التشاؤم منه، فما كان لونُه أسود أو أسحم أو أبقع يكون أكثر تشاؤماً وأكثر جلباً للشر . فعقيدة التشاؤم بالغراب إذن عقيدة ثابتة واضحة في نفوس العرب قبل الإسلام بأدلة الأمثال العربية القديمة وبأدلة الأشعار التي لا حصرَ لها على الرغم من أن أحد الدارسين يرى أنّ هذه العقيدة لا أساس لها من الصحة وأنّ من أُلصق بالغراب من عقيدة التشاؤم لا ناقة له فيها ولا جمل وأنّ ما يصيب الإنسان من فرح وحزن وعسر ويسر هو من سنن الطبيعة وليس للغراب صلة بها مستدلاً بقول علقمة[١٢]:

وَمَنْ تَعَرَّض لِلغِرْبَانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَابُدَّ مَشْؤُومُ

وقول المرقش[١٣] :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِم
فَإِذا الأَشَائِم كَالأَيَـــا مِنِ وَالأَيَامِنِ كَالأَشَائِمْ
فَكَذَاكَ لَا خَيْــرٌ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِـــمْ

بل إنّ من بين العرب من يتشاءم بالغراب، ومن بينهم من يتفاءل به[١٤].

إلا أن ذلك لا يصلح دليلاً على عدم وجود هذه العقيدة عند العرب بل هي عقيدة ثابتة وراسخة كما قدمنا وهي مستمرة الى يومنا هذا، فما زالت التقاليد والقيم القديمة باقية وهي لا تختلف كثيراً عن عادات الحسد مثلاً والنحس والتفاؤل التي استمرت على مر السنين، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب-كما يقول الجاحظ- اشتقّوا من اسمه الغربة والغريب والاغتراب

على التشاؤم منه، وليس في الأرض مما يتشاءم منه من الحيوان والطّير إلّا والغراب أنكر منه[١٥]. قال حسّان بن ثابت[١٦]:

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً وَلَا نَاعِبٍ إِلَّا بِبَيْنٍ غُرَابُهَا

لذلك يمكن القول إنّ العرب تتشاءم كثيرا بالغراب فهو نذير فراق الأحبّة وظعنهم، ولكنّه قد يكون مصدر تفاؤل عند آخرين، يقول الجاحظ : (والعامّة تتطيّر من الغراب إذا صاح صيحةً واحدةً فإذا ثنّى تفاءلت به)[١٧].

٢ـ السّانح والبارح: اختلفت العرب في التّفاؤل والتشاؤم بالطير اذا كان سانحاً أو بارحاً، والسانح عندهم اذا جاء عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح ما جاء عن يسارك، وهو أصل التطيّر كما يقول الجاحظ: (وأصل التّطيّر إنّما كان من الطّير ومن جهة الطّير إذا مرّ بارحاً أو سانحاً أو رآه يتفلّى أو ينتف، حتّى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النّاس أو البهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك وتطيّروا عندها كما تطيّروا من الطّير إذا رأوها على تلك الحال فكان زجر الطّير هو الأصلَ ومنه اشتقّوا التّطيّر ثمّ استعملوا ذلك في كلّ شيء)[١٨]. فمن مجيء السانح للتشاؤم قول عمر بن قميئة[١٩]:

فَبِيْنِي عَلَى طَيْرٍ سَنِيحٍ نُحُوسُهُ وَأَشْأَمُ طَيْرِ الزَّاجِرِينَ سَنِيحُهَا

فهذا يشير إلى أنّ الطير أشأم إذا سنحت. ومنه كذلك قول زهير[٢٠]:

أَجَارَهمَا بِشْرٌ مِنَ المَوْتِ بَعْدَمَا جَرَى لَهُمَا طَيرُ السَّنِيحِ بِأَشْأَمِ

ومنه قول كثير[٢١]:

أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مُخِيفَةً سَوَانِحُهَا تَجْرِي وَلَا أَسْتَثِيرُهَا

وقد يكون السانح موضع تفاؤل وتيمّن وبركة كما جاء عندهم في المثل " مَنْ لِي بالسَّانِحِ بَعدَ البَارِحِ ؟"[٢٢] أي باليمن بعد العسر، ومنه قول زهير[٢٣]:

جَرَتْ سُنُحَاً، فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي نَوىً مَشْمُولَةٌ، فَمَتَى اللِّقَاءُ؟

وقال آخر [٢٤]:

أبالسُّنْحِ الأيَامِنِ أم بِنَحْسٍ تَمُرُّ بِهِ البَوَارِحُ حِينَ تَجْرِي

ويقول ذو الرّمة[٢٥]:

خَليليَّ لَا لَاقيتُمَا مَاحَييتُما مِنَ الطَّيرِ إلّا السّانحاتِ وأسعَدا

فهو يدعو لهما بالسعد واليمن بأن يصادفا الطير السانح وهذه أدلّة على اعتقادهم بأنَ السانح يجلب الخير والنماء والسعد.وكذلك قد يستعملون البارح لما يتشاءم به ويكون مدعاة للشر والحزن كما مرَبنا في قول النابغة الذبيانيَ[٢٦]:

زَعَمَ البَوارحُ أنّ رِحلتَنَا غداً وَبذاكَ خبَّرَنَا الغُدافُ الأسودُ

على أن ثَمَة من لا يرى صحّةً في التفاؤل والتشاؤم من الطير السانح والبارح كما ورد عن أبي ذُؤيب الهذليّ[٢٧] :

أرِبتُ لإربتِه فانطلَقـ تُ أرَجّي لِحبِّ اللّقاء السّنيحَا

أراد أنه لا يتطير فيتشاءم بذلك الطير بل إذا مرّت به الطير لا يلتفت إليها، بل يدعها ويمضي[٢٨]. ويسمى الطّير كذلك القعيد والنطيح، فالقعيد ما أتاك من ورائك من طير أو ظبي فيتشاءم به كقول عبيد بن الأبرص[٢٩] :

وَلَقدْ جَرَى لَهُمُ فلم يَتَعَيَّفُوا تَيسٌ قَعِيدٌ كالوشِيجةِ أعْضَبُ

وأما النطيح فهو ما يأتيك من أمامك من الطير والظبي وغير ذلك وهو مشؤوم ، قال أبو ذؤيب الهذليّ[٣٠]:

فَأمْكَنَهُ مِمّا أرَادَ وَبعضُهُم شَقِيٌّ لَدَى خَيراتِهِنّ نَطِيحُ

فالنطيح والقعيد قد يستعمل أحدهما مكان الآخر، فما يتفاءل به قد يتشاءم منه والعكس صحيح.

ثانياً: التّفاؤل والتّشاؤم ببعض المسميات:

١ ـ السّليم: قد تسمّي العرب من تلدغه الحيّة سليما، على جهة التّفاؤل، قال الجوهريّ: (السّلام والسّليم: اللّديغ، كأنّهم تفاءلوا له بالسّلامة، ويقال:

أُسلم لما به)[٣١] ، وهذه عادة العرب في التّسمية بما يتفاءل به، (كما كنّوا طيرةً عنِ الأعمى فكنّوه أبا بصير، وبها اكتنى الأعشى بعد أن عَمِيَ، ولذلك سمُّوا الملدوغَ والمنهوشَ سليماً، وقالوا للمهالك منَ الفيافي المفاوزَ وهذا كثيرٌ)[٣٢].

وفي هذا المعنى يقول النّابغة الذّبياني[٣٣] :

يُسهّدُ مِن لَيلِ التّمَامِ سَلِيمُهَا لِحُلِي النِّسَاءِ فِي يَدَيهِ قَعَاقِعُ

٢ـ الشّقراء: وهي فرس كانت العرب تتشاءم منها، ويضرب المثل بها في التّشاؤم، يقولون: (أشْأَمُ مِنَ الشّقْرَاءِ عَلَى نَفْسِهَا)[٣٤] وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم[٣٥]:

لَأصْبَحَ كَالشّقْرَاءِ لَمْ يَعدُ شَرُّهَا سَنَابِكَ رِجْلَيْهَا، وَعِرضُكَ أوْفَرُ

٣ ـ عطر منشم: ومنشم اسم امرأة عطّارة، كانت العرب تتشاءم منها، ويضرب المثل بها في التّشاؤم، فيقولون: (أشْأَمُ مِنْ مَنْشِمٍ)[٣٦]، فإذا أرادت القبائل أن تتقاتل فيما بينها تعطّرت بعطرها، فهو بمثابة نذير الشّؤم والنّحس والشّرّ، فتكثر القتلى بينهم[٣٧] وأكثر من صوّر هذا المعنى زهير بن أبي سُلمى في معلّقته إذ يقول[٣٨]:

فأقسَمتُ بالبيتِ الّذي طَافَ حولَه رجالٌ بَنوهُ من قُريشٍ وجُرهُمِ
يميناً لَنعمَ السّيّدانِ وُجدتُما على كلِّ حالٍ من سحيلٍ ومبرمِ
تَداركتُما عبساً وذُبيانَ بعدَما تَفانَوا ودقّوا بينهم عِطرَ منشِمِ
فأصبحتُما منها على خيرِ موطنٍ بَعيدينِ فيها من عقوقٍ ومَأثمِ

ومحور القصيدة يدور حول الحرب التي دارت بين داحس والغبراء وسُفكت فيها الدّماء الكثيرة فكانت مثارَ شؤمٍ ونحسٍ حتى ضُربت بها الأمثال في التّشاؤم ، فقد جاء في أمثال العرب: (أشْأَمُ مِنَ البَسُوسِ)، و (أشْأَمُ مِنْ دَاحِسٍ)، و (أشْأَمُ مِنْ سَرَابٍ)[٣٩]، وهذه الأمثال تشير جميعها إلى تشاؤم العرب من هذه الحرب الواقعة بين القبيلتين . ومن هذا أيضاً قول الأعشى[٤٠]:

أَرانِي وعَمراً بينَنا دَقُّ منشمٍ فلم يبقَ إلّا أن أُجَنّ ويَكْلَبَا

أراد أنّ ما بينه وبين عمر من سوء الحال كأنّنا قد اتّفقنا على القطيعة والخلاف وتعطّرنا بهذا العطرِ إمارة على عدم التّوافق وإشارة إلى الشؤم والنّحس الذي حلّ بيننا.

٤ ـ الحرب: لعلّ من أهمّ ما يميّز حياة العرب في العصر الجاهليّ حبّهم للحرب وافتخارهم بها، وكانوا يتمنّون الموت في سوح القتال على الموت حتف الأنف، ولذلك يروي لنا التاريخ قصصاً وحروباً دامية وقعت بين قبائل العرب واستمرّت سنواتً طويلة لم تنته إلا بأخذ الثأر، وكانوا يسمّون معاركهم وحروبهم أيّاماً تفاؤلاً منهم بها ودليلاً على علوّ شأنهم وبأسهم وشجاعتهم. ولعلّ خير من مثّل هذا المنحى عمرو بن كلثوم في معلّقته التي يخاطب بها عمر بن هند فيقول[٤١] :

أَبَا هِنْد فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا
بِأَنّا نُورِدُ الرّايَاتِ بِيضاً ... وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا
وَأَيّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ ... عَصَيْنَا المَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ ... بِتَاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِيْنَا
تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ ... مُقَلَّـــدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا
وَ أَنْزَلْنَا البُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ ... إلى الشّامَاتِ تَنْفِ المُوعِدِيْنَا
وَ قَدْ هَرَّتْ كِلابُ الحَيِّ مِنّا ... وَشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا
مَتَى نَنْقُلْ إلى حَيٍّ رَحَانَا ... يَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا
يَكُونُ ثِفالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدٍ ... وَلَهْوَتُهَا قُضَاعَةَ أَجْمَعِيْنَا
نَزَلْتُم مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنّا ... فَأَعْجَلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قَرَيْنَاكُم فَعَجَّلْنَا قِرَاكُم ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
نَعُمُّ أُنَاسَنَا وَنَعُفُّ عَنْهُم ... وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مّا حَمَّلُونَا
نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عَنّا ... وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إذا غُشِينَا
بِسُمْرٍ مِن قَنَا الخَطِّيِّ لُدْنٍ ... ذَوَابِلَ أو بِبِيضٍ يَخْتَلِينَا
كَأَنَّ جَمَاجِمَ الأَبْطَالِ فِيهَا ... وُسُوقٌ بِالأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا

نَشُقُّ بِها رُؤوسَ القَوْمِ شَقّاً وَنَخْتَلِبَ الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا
وَإنَّ الضِّغْنَ بَعدَ الضِّغْنِ يَبْدو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدّاءَ الدَّفِينَا

وواضحٌ من الأبيات سابقة الذّكر أنَّ الشّاعرَ يفتخر بقومه ويعتزُّ ببطولاتهم ، ويتفاءل بالحروب التي خاضوها ضدَّ أعدائهم مهدّداً تارةً ومتوعّداً تارةً أخرى، فهم الذين يردون الحروبَ برايات بيضٍ ويرجعونها حمراءَ قد امتلأت ورُويت من دماء الأعداء، فلم نخضع لملكٍ جبّار ، ولنا أيّام كثيرةٌ تشهد بذلك. ونحن الذين قتلنا سادات القبائل وجلسنا مجلساً بعيداً عن أعدائنا، فكانوا طحيناً لرحانا، وقد استعار الشّاعر هنا الرَّحى للحرب والطَّحين لأعدائه، ولا يبقى مكانٌ إلا نالته رحانا . فهو يرى الحرب مجداً وفخرا وعزّاً يتباهى به بين القبائل ، يقدم إليها الصّغير قبل الكبير:

بِشُبّانٍ يَرونَ القَتلَ مَجْداً وَشِيبٍ في الحروبِ مُجَرَّبِينَا

إنَّ هذا الاتّجاهَ في الفخر بحروب القبيلة ومعاركها ضدّ أعدائها والتّفاؤل بالقتل نجد ما يخالفه عندَ شعراء آخرين، ونقصد بذلك أنَّ قسماً من شعراء العصر الجاهليَ لا يرى الحربَ مدعاةً إلى التّفاؤلِ والفخرِ بين القبائل، بل على العكس من ذلك فهي مدعاةٌ إلى التّشاؤم والبغض وسفك الدِّماء، ولعلَّ خير من صوّر هذا الاتّجاه زهير بن أبي سلمى في معلّقته وهي قوله(٤٢):

فَأَقْسَمْتُ بالبَيْتِ الذي طافَ حَولَهُ رِجَالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ
يَميناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمـــا عَلى كُلِّ حَالٍ مِن سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعدَمـا تَفَانَوا وَدَقّوا بَيْنَهُم عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَد قُلْتُمَا: إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ ومَعْروفٍ مِنَ القَولِ نَسْلَمِ
فَأَصبَحتُما مِنها عَلى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيها مِن عُقُوقٍ وَمَـأْثَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هَدَيتُمَا وَمَن يَستَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

إنّ المحور الذي تدور حوله القصيدة هو السّيّدان اللذان تطوّعا بإيقاف الحرب بين القبيلتين فنعم السّيدان هما، إذ أوقفا سيل الدّم بينهما بعد ما أفنى بعضهم بعضاً وتعاهدوا على القتال، وتعطّروا بعطر المرأة التي كانت مثالاً في

التّشاؤم والتّطيّر، فإذا أمكن دفعُ دية الحرب وإدراك السّلم بين القبيلتين بالمال أو المعروف يسلم النّاسُ من الذّم والقول الفاحش بسبب الحرب، وهذا عهدٌ أخذه هذان السّيّدان على أنفسهما فأصبحا في خير مكان بعيدين عن الذمّ وعقوق الأهل والقبيلة، في أعلى القبائل وأشرفها والذي يجد كنزاً من المجد فيعمل به يعظم شأنه بين الكرام:

تُعفّى الكلومُ بالمئين فأصبحَت ... يُنَجِّمُهَا مَن لَيْسَ فِينَا بِمُـجْرِمَ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَـــــة ... وَلَم يُهْرِيقُوا بَيْنَهُم مِلْءَ محْجَمِ
فَأصبحَ يَجْري فِيهِما مِن تِلَادِكُم ... مَغَانِمُ شَتّى مِن إفَالٍ مُزَنَّـــمِ
ألا أبلِغِ الأحلافَ عَنّي رِسالَةً ... وذُبْيَانَ هَل أقْسَمتُمُ كُلَّ مَقْسَـمِ
فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مّا في نُفُوسِكُم ... لِيَخْفَى وَمَهمَا يَكْتَمِ اللهُ يَعْلَـمِ
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخرْ ... لِيَومِ الحِسَابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَـمِ

فالدّيات التي يدفعها الناس غرامة للحرب من الأموال والأنفس تكون باهظة ومكلفة وربّما أعطاها من لا ذنبَ له ولا جُرمَ ، أو تعطيها قبيلةٌ لأخرى ولم يسل بينهم دم ، وفضل هذا يعود إلى هذين السّيدين النّبيلين ففي الدّيات لهم حقٌّ ونصيب. ويُلاحظ هنا أنّ الشّاعر لجأ الى أسلوبٍ أكثر تأثيراً وأبلغ في النفوس وهو المواعظ والحكم، فمن ذلك أنّ الله تعالى يعلم الأسرار والخفايا فلا حاجةَ إلى إخفاء ما في النّفوس من الحقدِ والضّغينة لأنّ ذلك سوف يُظهره الله سبحانه في الآجل فينتقمُ من المعتدي أو يؤخّر فيُؤجّل إلى يوم الحساب. ثمّ يبيّن الشّاعر بعد ذلك ما تجرّه الحرب من ويلاتٍ على أهلها فهي نذير شؤمٍ ونحسٍ ولا تأتي إلّا بالشّر:

وَمَا الحَربُ إلّا مَا عَلِمْتُم وذُقْتُمُ ... وَمَا هُوَ عَنهَا بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ
متَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إذا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُككُم عَرْكَ الرَّحى بِثِفَالِهَا ... وَتُلْقِحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجْ فَتُتْئِـمِ
فَتُنْتِجْ لَكُم غِلْمَانَ أشْأَمَ كُلُّهُم ... كَأحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتُفْطِمِ
فَتُغْلِلْ لَكُم مَا لَا تُغِلُّ لأهْلِهَا ... قُرىً بالعِرَاقِ مِن قَفِيزٍ ودِرْهَمِ

لقد وضع الشّاعر هنا صفات الحرب التي يعرفها الناس وليس الحديث عنها بغريب فقد عرفتموها وجرّبتموها فهي مذمومةٌ إذا بُعِثت ويزداد لهيبها كلّما أُشعلت، وقد أعاد الشّاعر تشبيهها بالرّحى فهي تعرككم كما تعرك الرّحى ثفالها وتطحن ما فيها طحناً، ثمَّ شبّهها بالنّاقة التي تلد في السّنة مرّتين فتحمل توأمين، وما تنتج إلا غُلمانَ شؤْمٍ كعاقر ناقة صالح(ع)، إذ إنَّ الحربَ هي التي تلدهم ثمَّ تفطمهم وتنشئهم، فيكونون شؤماً على أهلهم وقبائلهم، فضلاً عن أنّها تغلّ لكم أنواعاً من الويلات تزيد على ما تغله أراضي العراق من الخيرات والنِّعم.وفي الأخير نجد أنّ هذين الاتّجاهين في تصوير الحرب بين متفائلٍ بها ومتشائمٍ منها هو واقع ما أفرزته الحروب بين القبائل وما أنتجته من مخلّفات، تارة تكون فألاً وخيراً على أصحابها، وما يمثّل هذا الاتّجاه نجد صداه في القرآن الكريم عند حثّ المسلمين على القتال وما يفيء عليهم من الحرب من الأنفال والغنائم، والحرب عند الجاهليّة تمثل شجاعة وبسالة وإقداماً، ولذلك نجدهم يسمّون أولادهم بحرب وما شاكل ذلك، كما يسمّون أولادهم بما يوحي بالجلد والعنف كصخر وحجر، كما يسمون أولادهم بأسماء الحيوانات على وجه التّفاؤل بهم، يقول الجاحظ: (والعرب إنّما كانت تسمّي بكلب وحمار وحَجر وجُعَل وحنظلة وقرد على التّفاؤلِ بذلك، وكان الرّجل إذا ولِد له ذكرٌ خرج يتعرّض لزجر الطّير والفألِ فإن سمعَ إنساناً يقول حجراً أو رأى حجراً سمّى ابنه به وتفاءل فيه الشدّة والصّلابة والبقاء والصّبر)[٤٣].

أمّا الاتّجاه الذي يرى الحربَ شؤماً ولا تجرّ إلا الويلات كما رأينا في معلّقة زُهير فهو اتّجاهٌ مستمدٌ كذلك من واقع الحروب التي لا يجني الإنسان من ورائها إلّا سفك الدّماء والعداوة والبغضاء، ثمّ لا تنتهي إلّا بالقتل أو الدِّيات التي تكلّف الناسَ ما لا يطيقونه .

٥ ـ الرّياح: توحي لفظة الرّياح بدلالتين متناقضتين عند عرب الجاهليّة، إذ يعدّها بعضهم مصدر خيرٍ ونماء وتفاؤل، في حين يعدّها بعضهم الآخر نذير شؤمٍ وبؤس وتجلب إليهم الشّرّ والعناء، وهذا الإحساس عندهم مستمدّ من

واقع البيئة التي يعيشونها والطبيعة الصّحراويّة التي فرضت عليهم النّظر إلى الأشياء نظرةً تشاؤميّة تحمل في باطنها اليأس والحزن. وللقرآن الكريم استعمالٌ فريد فيما يتعلّق بلفظ الرّياح، فهو يأتي بلفظة (الرّيح) في المواضع التي تستدعي العذابَ والانتقام، في حين يأتي بلفظة (الرّياح) في مواضع الخير والبركة والنّماء، فمن الأوّل قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ}(٤٤)، ومن الثاني قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}(٤٥) .ونحن نجد صدى ذلك في الشّعر الجاهليّ، فقد فرّق الشّعراء بين نوعين من الرّياح، الاولى الرّيح اليمنيّة وهي ريح يمن وبركة وتأتي بالخير والنّماء وتبعث في النّفس الطّمأنينةَ والبهجةَ والسّرورَ لأنّها تحمل المطر والخصبَ، بخلاف الرّيح الشّاميّة التي تبعث على التّشاؤم واليأس، فهي تحمل البردَ والصّقيعَ وهي نذير انقطاع الكلأ والنّماء وتهدّد بالجوع والقحط، ولعلّ أوّل من وصف الرّيح بهذين الوصفين امرؤ القيس في معلّقته(٤٦):

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدّخُولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

فالجنوب هي ريح الخير والنّماء، والشّمأل هي ريح الشّرّ والجوع والقحط، أراد أنّها لم تؤثر فيها الرّيحان ، لأنّ إحداهما تلغي الأخرى. (وطير شِمال كلّ طير يتشاءم به، وجرى له غُراب شِمالٍ أي ما يكره كأنّ الطّائرَ إنّما أتاه من الشِّمال)(٤٧). يقول أبو ذُؤيب الهُذليّ(٤٨):

زَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ الشِّمَالِ فَإِنْ تَكُنْ هَوَاكَ الذي تَهْوَى يُصِبْكَ اجْتِنَابُهَا

فالجنوب عندهم ريحٌ طيّبةٌ تحمل الخيرَ والنّماء وينبت فيها العشب وتدبُّ فيها الحياة من جديد، يقول أبو ذُؤيب(٤٩):

وتَهِيجُ سَارِيَةُ الرِّياحِ مِنَ ارْضِكُم فَأَرى الجَنابَ لَهَا يُحَلُّ وَيُجْنَبُ

أمّا ريح الشّمال فهي تجلب الشّؤمَ وتنذر بالقحط ، يقول أبو ذُؤيب(٥٠):

مَرَتْهُ النُّعَامَى فَلَمْ يَعْتَرِف خِلَافَ النُّعَامَى مِنَ الشّأمِ رِيحَا

على حين أنّها عند النّابغة الذّبيانيّ ريحٌ طيِّبةٌ تأتي بالبَرَدِ وتنشُرُ الخيرَ والحياةَ ويعشُبُ فيها الزَّرع(٥١):

أسْرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الجَوْزَاءِ سارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمَالُ عَلَيْهِ جَامِدَ البَرَدِ

وهم في ضَنك الحياة وشدّتها يبذلون الطّعام للمساكين والفقراء حين تتقابل الرّياح ويشتدّ الشّتاء قسوةً وسوءَ حالٍ فيأكل الأيتام والمساكين اللّحم فرِحينَ مسرورينَ، يقول لبيد بن ربيعة(٥٢):

وَيُكَلِّلُونَ إذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ خُلُجاً تُمَدُّ شَوَارِعاً أيْتامُهَا

ويرتبط ذلك عندهم بالمطر والبرق، وهما نذيرا خير وتفاؤل .وقد درج الشّعراء على وصف المطر أو البرق وما يستتبع ذلك من نموّ النّبات وخضرة الأرض، يقول امرؤ القيس(٥٣):

أصَاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِضَهُ كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ أمَالَ السَّلِيطَ بالذُبَالِ المُفَتَّلِ
قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ العُذَيْبِ بُعْدَ مَا مُتَأمَّلِي

فالبرق يلمع ويتلألأ كمصابيح الرّاهب جلس يتأمّله هو وأصحابه بانتظار المطر، ما يدفع على التّفاؤل والسّرور والبركة، وهم كثيراً ما يصفون المطرَ بالدّوام والاستمرار كما يقول أبو ذُؤيب (٥٤):

بِمَاءِ شُنَانٍ زَعْزَعَتْ مَتْنَهُ الصَّبَا وَجَادَتْ عَلَيْهِ دِيمَةٌ بَعْدَ وَابِلِ

ويقول لبيد بن ربيعة (٥٥):

بَاتَتْ وَأسْبَلَ وَاكِفٌ مِنْ دَيْمَةٍ يُرْوِي الخَمَائِلَ دَائِماً تَسْجَامُهَا
يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

فالمطر في حال دائم الهطول، يروّي الخمائل ويبعث على الأمل ويحيي الأرض بعدما شهدت من الجدب والقحط وقلّة المرعى.

٦- اللّيل والنّهار: لعلَّ اللّيل والنّهار من أبرز مظاهر الطَّبيعة الصّحراويّة التي كان لها حضور فاعل في الشّعر الجاهليّ، فهو يمثّل عندهم مصدراً من مصادر الحزن والتّشاؤم، فهو يجلب لهم بظلامه اليأسَ والقلقَ والفراقَ، وقد

خصّص كثيرٌ منَ شعراء العصر الجاهليّ مقطوعات يصفون بها اللّيلَ وقساوته، من ذلك امرؤ القيس في قوله(٥٦):

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهُ عَلَـــيَّ بِأنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِـــي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِـــهِ وَأرْدَفَ إعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَـــلِ
أَلَا أيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ عَنْكَ بِأمْثَـلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَـــهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُـــلِ

فاللّيل بظلامه ووحشيّته شبيهٌ بأمواج البحر المتلاطمة، وقد جاء محمّلاً بالهموم والأحزان ليختبرني أأصبر أم أجزع، فتمنيت منه أن ينتهي لمّا تطاول، وينكشف الصبح ويظهر النّهار، وإن كان الأخير ليس أفضل حالاً من اللّيل لأنّ فيه كذلك الأحزان والهموم، وكأنّ هذا اللّيل قد شُدّت نجومه إلى صخورٍ صلبةٍ صمّاء لا تتحرّك فلا تغيب، كنايةً عن تطاول اللّيل وما يقاسي فيه من الأحزان والآهات. وصورة اللّيل هذه نجدها عند النّابغة الذّبيانيّ في قوله(٥٧):

كليني لِهَمٍّ يَا أُمَيْمةُ نَاصِـــبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِـــبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الذي يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِـــبِ
وَصَدْرٍ أرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِن كُلِّ جَانِبِ

فليله ليس بمنقضٍ وكواكبه لا تغيب ما ضاعف عليه الشّؤم الأحزان والآلام من كلّ جانب، وهذا المنظر يمثّل عند شعراء آخرين نذيراً لفراق الأحبّة والأصدقاء، ولا سيّما إذا كان اللّيل مظلماً كما يصوّره عنترة بن شدّاد(٥٨):

إن كُنْتِ أزْمَعْتِ الفِرَاقَ فَإنَّمَا زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بِلَيْلٍ مُظْلِمِ

فالظّلام يزيد اللّيل وحشةً وحزناً ويبعث على التّشاؤم واليأس، وهو دليلٌ عندهم على فراق الأحبّة بخلاف النّهار الذي يأتي بالضّياء، فهو يبعث على الأمل والتّفاؤل وينبئ بحياة جديدة هانئة، ولذلك تشيع في شعرهم مفردات (وقد اغتدي) و(عمْ صباحاً)، يقول امرؤ القيس (٥٩):

وَقَدْ أغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدَ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

ويقول زهير بن أبي سلمى [٦٠]:

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ... أَلَا، عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ، وَاسْلَمِ

إذن فالليل والنهار يحملان دلالتين مختلفتين متناقضتين، يوحي الأول بالحزن والتشاؤم والألم وينذر بالفراق، ويدلّ الآخر على الفرح والتفاؤل والأمل، وينبئ بحياة جديدة.

٧ـ الموت والحياة: من الموضوعات البارزة في الشعر الجاهليّ تصوير الموت والحياة، فالموت يدعو إلى التشاؤم والحزن، وهو ما يمثّله امرؤ القيس في مقطوعته التي يصف فيها الموت وحال النّاس فيقول [٦١]:

أَرَانَا مُوضَعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ ... وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ
عَصَافِيرٌ وَذِبَّانٌ وَدُودٌ ... وَأَجْرَأُ مِنْ مُجَلَّحَةِ الذُّئَابِ

فهو يرى في الأفق البعيد وادي العدم الذي يشدّ النّاس إليه رحالهم، يتعلّلون عنه بالطّعام والشّراب، فهم يسقطون على أطماعهم كالذّئاب الضّارية، ولكنّهم ضعافٌ كالعصافير والدّود عند مصيرهم المحتوم، وغالباً ما تصوّر المنيّة في شعرهم وحشاً ذا أظفار لا يمكن دفعه، كما يقول أبو ذُؤيب[٦٢]:

وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ ... فَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ
وَإِذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتُ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

أمّا زهير فإنّه سئم الحياة وأنّ الموت آت له لا محالةَ وإن طال عمرُه[٦٣]:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ... ثَمَانِينَ حَوْلاً لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ
وَأَعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِ
رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ ... تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

والموت في نظر الشّعراء يختار الكريم منهم ويترك الفاحشَ البخيلَ، والعيش كأس ينقص كلَّ يوم ومن يؤجّل حتمُه ليس إلّا لأنّه كحبل الدّابة مهما طال فهو في يد صاحبه، يقول طرفة بن العبد [٦٤]:

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي ... عَقِيلَةَ مَالِ الفَاحِشِ المُتَشَدِّدِ
أَرَى العَيْشَ كَأْساً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ ... وَمَا تَنْقُصُ الأَيَّامُ وَالدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إنّ المَوْتَ مَا أخْطَأَ الفَتَى لَكَالطِّوَلِ المُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِاليَدِ

أمّا الحياة فهي بلا شكّ تبعث على التّفاؤلِ والأملِ في نفس الإنسان، وقد يبدو ذلك واضحاً في شعر المجون ومعاقرة الخمر ولذّات الحياة كما يصوّرها شعراء ذلك العصر، يقول طرفة بن العبد (٦٥):

ألَا أيُّهَذَا اللّائمِي أحْضُرَ الوَغَى وَأنْ أشْهَدَ اللّذَاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدِي
فَإنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيّتِي فَدَعْنِي أبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

فالموت لا بُدَّ منه وحضور الحرب أو ممارسة لذّات الدّنيا لا يُخلد الإنسان، فلا حاجةَ للبخل وترك اللّذات، والبخيل والجواد سيّان عنده(٦٦):

أرَى قَبْرَ نَحّامٍ بَخِيلٍ بِمَالِه كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي البَطَالَةِ مُفْسِدِ

فلا فرق بين البخيل والجواد في المصير المحتوم، بل نرى الشّعراء يصرّحون بشرب الخمر غير مبالين بما ينتظرهم من المصير، وهذا ما نجده عند عنترة بن شدّاد(٦٧):

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المُدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الهَوَاجِرُ بِالمَشُوفِ المُعْلَمِ
بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أسِــرَةٍ قُرِنَتْ بِأزْهَرَ فِي الشِّمَالِ مُفَدَّمِ
فَإذَا شَرِبْتُ فَإنّنِي مُسْتَهْلِــكٌ مَالِي، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَــمِ

فهو يفتخر بشرب الخمر ومعاقرتها ولا يبالي إذا أنفق ماله في سبيل ذلك، وهذا لا يخدش عرضه ما يوحي بحبّهم للدّنيا وملذّات الحياة، بل هذا ربّما كان سبيلا للفخر والتّفاؤل بين القبائل ومدعاةً إلى عيش الحياة بكلّ ما تحمل من محاسن ومساوئ، وإن كان هذا يتخلله رجوعٌ إلى التّفكير بالآخرة وما ينتظر الإنسان فيها من مصير لا يمكن نكرانُه أو دفعُه.

خاتمة البحث: بعد ذلك يمكن أن نتبيّن أهمّ خصائص الشّعر الجاهليّ فيما يتعلّق بالتّفاؤل والتّشاؤم، إذ يتباين العرب في ذلك، فالغراب مثلاً يعدّ شؤماً ونحساً عند كثير من القبائل، وكلّ صفةٍ فيه توحي بذلك، كألوانه

الأسود والأبقع، وأسمائه، غراب البين، والحاتم، لأنه يحتم بالفراق والرّحيل، وكذلك صوته فهو ينعق بالفراق بين الأحبّة، ونعيبه ونعيه أمارتان على ذلك أيضاً. وقد تعدّدت مصادر التّفاؤل والتّشاؤم في ذلك العصر بين الطّيور والحيوانات، على أنّ ما يكون فألاً عند قبيلة قد يكون شؤماً عند غيرها، وقد تتفاءل العرب بالتّسمية، فيسمّون الذي تلدغه الحية مثلاً سليماً على وجه التّفاؤل وطلب السّلامة له كما يتفاءلون بالصّحراء فيسمّونها المفازة، ويسمّون الأعمى بصيراً وغير ذلك، وقد ظهر ذلك واضحاً في شعرهم وفي الأمثال القديمة.

الهوامش:

(١) ديوان طرفة بن العبد: ١٣٩
(٢) سورة يس: الآية: ١٨
(٣) سورة يس: الآية: ١٩
(٤) مجمع الأمثال: ١٢٧/١
(٥) المصدر السّابق: ١٢٧/١
(٦) الحيوان: ٤٤٤/٣
(٧) المخصّص: ١٥٣/٢
(٨) ديوان النّابغة الذّبيانيّ :٨٩
(٩) ديوان عنترة بن شدّاد: ٢٤٧
(١٠) الأمل واليأس في الشّعر الجاهليّ: ١٢٨
(١١) ديوان عنترة: ٥٥
(١٢) ديوان علقمة: ٧٨
(١٣) ديوان المرقّش: ٦٤
(١٤) الغراب في الأمثال العربيّة القديمة، د. صلاح خضر، مجلة المورد، مج٣٧، ع٢، ١١٥
(١٥) الحيوان: ٣١٥/٢
(١٦) ديوان حسّان بن ثابت:٣٤٢
(١٧) الحيوان:٤٥٧/٣

(١٨) المصدر السّابق:٤٣٨/٣
(١٩) ديوان عمر بن قميئة: ٢٤٢
(٢٠) شعر زهير بن أبي سُلمى:٢٣
(٢١) ديوان كثيّر: ١٢٥
(٢٢) مجمع الأمثال: ٢/ ١٥٢
(٢٣) شعر زهير بن أبي سلمى:١٢٤
(٢٤) لسان العرب: (سنح)
(٢٥) ديوان ذي الرّمة: ٨٤
(٢٦) ديوان النّابغة الذّبيانيّ: ٨٩
(٢٧) شرح أشعار الهذليّين: ١٤١/١
(٢٨) المصدر السّابق: ١٤١/١
(٢٩) ديوان عبيد بن الأبرص: ٥٦
(٣٠) شرح أشعار الهذليين ١١٠/١
(٣١) الصّحاح: (سلم)
(٣٢) الحيوان: ٣١٦/٢
(٣٣) ديوان النّابغة الذّبيانيّ: ٣٣
(٣٤) مجمع الأمثال: ١٢٨/١
(٣٥) ديوان بشر بن أبي خازم:١١٥
(٣٦) مجمع الأمثال: ١٢٨/١
(٣٧) لسان العرب: (نشم)
(٣٨) شعر زهير بن أبي سلمى:١٤
(٣٩) مجمع البيان/ ١٣٠
(٤٠) ديوان الأعشى: ٨٣
(٤١) شرح المعلّقات السّبع: ١٤٧
(٤٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ١٤
(٤٣) الحيوان: ١/ ٣١٨
(٤٤) سورة القمر: ١٩
(٤٥) سورة الحجر: ٢٢
(٤٦) ديوان امرئ القيس: ٢٨

(٤٧) لسان العرب: (شمل)
(٤٨) شرح أشعار الهذليّين: ٣٨/١
(٤٩) المصدر السّابق: ١٤٣/١
(٥٠) المصدر السّابق: ١٣٩/١
(٥١) ديوان النّابغة: ١٨
(٥٢) ديوان لبيد بن ربيعة: ١٤٢
(٥٣) ديوان امرئ القيس: ٣٣
(٥٤) شرح أشعار الهذليّين: ١٠٥/١
(٥٥) ديوان لبيد:٧٨
(٥٦)يوان امرئ القيس: ٤٦
(٥٧) ديوان النّابغة: ٤٠
(٥٨) ديوان عنترة: ٥٤
(٥٩) ديوان امرئ القيس:٣٩
(٦٠) شعر زهير:١١
(٦١) ديوان امرئ القيس: ٦٨
(٦٢) شرح أشعار الهذليّين:١٤/١
(٦٣) شعر زهير: ٢٥
(٦٤) ديوان طرفة: ١٢٥
(٦٥) المصدر السّابق: ١٢٥
(٦٦) المصدر السّابق: ١٢٥
(٦٧) ديوان عنترة: ٦٢

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الأمل واليأس في الشّعر الجاهليّ، د.كريم حسن اللّاميّ، دار الشّؤون الثقافيّة العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٨م.
- الحيوان، الجاحظ، تحقيق، عبد السّلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ وأولاده، ط١، ١٩٣٨م.

- ديوان بشر بن أبي خازم، شرح: د. صلا الدّين الهوّاريّ، دار ومكتبة الهلال، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.
- ديوان حسّان بن ثابت الأنصاريّ، تحقيق: حنفي حسنين، وزارة الثّقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.
- ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، مصر، ١٩٥٠م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح كرم البستانيّ، دار صادر، بيروت، ١٩٥٣م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: كرم البستانيّ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- ديوان عمر بن قميئة، تحقيق: خليل إبراهيم العطيّة، دار الحريّة، بغداد، ١٩٧٢م.
- ديوان عنترة بن شدّاد، تحقيق: خليل شرف الدّين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٧م.
- ديوان النّابغة الذّبيانيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.
- شرح أشعار الهذليين، أبو الحسن السّكريّ، تحقيق: خالد عبد الغنيّ محفوظ، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- شعر زهير بن أبي سُلمى، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- الصّحاح، الجوهريّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت- لبنان، ط٥، ٢٠٠٩م.
- الغراب في الأمثال العربيّة القديمة، د. صلاح خضر بنيّ، مجلّة المورد، مج ٣٧، ع٢، سنة٢٠١٠م.
- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، دار إحياء التراث، ط١، ٢٠١٠م.
- مجمع الأمثال، الميدانيّ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

Abstract: This search is want to detect about optimism and pessimism in Al Jahily poet and its following by thoughts that found in that age. This thoughts was founded in that age because of Bedouin , love of desert ,fight and else things that the Arabian have it and we can founded it clearly in the Al Jahily literature (poet and prose). Also we can founded it in ancient Arabian resemblance and also founded them in their stories and wars .

This thoughts were mentioned in holy Quran and the Sunna of the proghet. Once to obnoxious and swallow them or to praise them.

The Arab in Al Jahilia not all in one thoughts, that's to optimisms in one tribe , it's to pessimism in another tribe. for example, the crow to be pessimistic in many more tribes but, it's to be optimism in other tribes , so, the crow was mentioned in holy Quran in good when the God send it to the son of Adam to show him how to burn his killed brother and to taught him that his doing not please the God then he was regretted.

This prove that there was things bring to be optimism and gave good to human and cause to him happy and pressure as they thought. So, there's things the Arabian were pessimism from them and thought that cause evil and bring bad things.

So, the things that cause optimism and pessimism were founded more in there poet and prose , for example, they were optimism in bird if it came from right to left and it's to be pessimism if it came from left to right.

The searcher: Dr.SAEED IBRAHIM SAIHOOD